مفهوم الدولة عند المفكر عبدالله العروي
دراسة فكرية:

The concept of the state according to the thinker Abdullah Al-Arawi: an intellectual study

م.د .سهى هادي علوش

M.Dr.suha hadi alwash

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية /قسم العقيدة

suha.aloish@aliraqia.edu.iq

مفهوم الدولة عند المفكر عبدالله العروي : دراسة فكرية

م.د .سهى هادي علوش

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد...

تعددت آراء المفكرين المتأخرين والمعاصرين حول مصطلح الدولة وماهيته ، فقد بدأ اهتمام المفكرين الاسلاميين بالتنظير للدولة الاسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية ،وعد البعض منهم هذا الاهتمام نتيجة لتأثر الاسلاميين بالمفاهيم التي سادت في الثقافة الغربية ومنها مفهوم الدولة ،وذلك لعدم اهتمام المسلمين قبل هذه الفترة بالتنظير لمسألة الدولة ،وإنما كان جل اهتمامهم هو السلطة ،لان الخلاف بين المسلمين كان خلافا على السلطة وليس الدولة ،ولذلك وقع أختياري على كتاب (مفهوم الدولة، للمفكر المغربي عبدالله العروي)، فهممت على قراءة هذا الكتاب وخرجت ببعض الاستنتاجات عبارة عن بحث مصغر تحت عنوان (مفهوم الدولة عند المفكر عبدالله العروي دراسة فكرية)، ناقش المؤلف الدراسات والنظريات والمذاهب الغربية ،ثم تعرج الى بيان الدولة الايجابية وماهيتها ،وحاول وصف وتشخيص هذه النظريات حسب مستوى التصور ومستوى الواقع ،فقام بنقد آراء واعتنق آراء أخرى محاولة منه للخروج بأستنتاجات واضحة تبين مفهوم ونظرة كل مذهب للدولة ، فهناك من يرى في الدولة أداة وآلية لخدمة الفرد في حياته الدنيوية، وهناك من يرى فيها غاية لتهذيب سلوك الفرد وجعله إنسانا، وهناك من يربطها بالمجال الاقتصادي، وهناك من يرى فيها جهاز قمع وردع للطبيعة الحيوانية في الإنسان، إلى جانب وجهات نظرية أخرى للدولة، تناولها المؤلف كلها بالدرس والتحليل والنقد، فالكتاب يتألف من ستة فصول ،الا انني ركزتُ في بحثي هذا على نظرية الدولة الايجابية ،وتكون الدولة والنظرية النقدية للدولة ،والدولة التقليدية في الوطن العربي .

the introduction:

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, Muhammad, may God bless him and grant him peace. As for what follows...

There are many opinions of late and contemporary thinkers about the term state and its essence. Islamic thinkers began to be interested in theorizing about the Islamic state after the fall of the Ottoman Caliphate Some of them considered this interest as a result of the Islamists being influenced by the concepts that prevailed in Western culture, including the concept of the state, and this was due to the lack of interest of Muslims before this period in theorizing the issue of the state.

However, most of their concern was power, because the dispute between Muslims was a dispute over power and not the state, and that is why I chose the book (The Concept of the State, by the Moroccan thinker Abdallah Al-Arawi), I decided to read this book and came up with some conclusions, which is a mini-research under the title (The concept of the state according to the thinker Abdullah Al-Arawi, an intellectual study). The author discussed Western studies, theories, and doctrines. Then he went back to explaining the positive state and its nature, and tried to describe and diagnose these theories according to the level of perception and the level of reality. He criticized opinions and embraced other opinions in an attempt to come up with clear conclusions that show the concept and view of each doctrine of the state.

There are those who see the state as a tool and mechanism to serve the individual in his worldly life, and there are those who see it as an aim to refine the individual’s behavior and make him human, and there are those who link it to the economic field, and there are those who see it as a device for suppression and deterrence of the animal nature in man.

In addition to other theoretical viewpoints of the state, the author dealt with all of them with study, analysis, and criticism. The book consists of six chapters, but in my research I focused on the theory of the positive state, the formation of the state, the critical theory of the state, and the traditional state in the Arab world.

أولاً-التأصيل اللغوي لكلمة (الدولة) :

إذا رجعنا إلى الأصل اللغوي لكلمة (الدولة) ، لوجدنا أنها عربية المنبت . وتؤكد غالبية معاجم اللغة العربية أن دُولة (بالضم) ، دَولة (بالفتح) معنيان : يقول ابن منظور:(دول: الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة، بالضم، في المال، والدولة، بالفتح، في الحرب، وقيل: هما سواء فيهما، يضمان ويفتحان، وقيل: بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا، وقيل: هما لغتان فيهما، والجمع دول ودول. قال ابن جني[١]: مجيء فعلة على فعل يريك أنها كأنها جاءت عندهم من فعلة، فكأن دولة دولة، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتي تابعا للضمة، وهذا مما يؤكد عندك ضعف حروف اللين الثلاثة، وقد أداله. الجوهري: الدولة، بالفتح، في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول، والدولة، بالضم، في المال؛ يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول)[٢] .

و(الدُولة): ورد لفظ الدولة بضم الدال وفتحها، فتطلق لو كانت مفتوحة على الحرب، يقال كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول، والدُولة بالضم تطلق على المال، ويقال صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولا ودول، وقال بعضهم الدَولة والدُولة لغتان بمعنى واحد الفراء قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾[٣] .

ومعنى التداول ، انتقال الشيء من شخص إلى آخر ، من ذلك قوله جل شأنه في سورة آل عمران : ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[٤]. أي صرفها بينهم فجعلها لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى ، كما تتداول النقود بين الأيدي . ويقال كذلك " الأيام دُول " ولعل في الاشتقاق اللغوي لكلمة دولة ما يفيد عنصر التأقيت والتعاقب و(الدَولة) -بفتح الدال- كلمة تستخدم في مجال الحرب ، ويراد بها الغلبة ، أي أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال : " كانت لنا عليهم الدَولة " ، والجمع (الدِول) بكسر الدال[٥].

وقد يطلق مصطلح (الدَولة) على : إقليم يتمتع بنظام حكومي واستقلال سياسي ، كأن يقال : " دولة مستقلة ذات سيادة " ، وقد يقال : " دولة دستورية " أو " دولة ذات نظام دستوري " إذا وجدت في الإقليم حكومة مقيدة لا مطلقة ، بحيث تتقيد جميع السلطات فيها بنصوص الدستور الذي يعمل على كفالة الحريات العامة للأفراد وضمان حقوقهم[٦].

ثانياً–مصطلح (الدولة) في القرآن الكريم :

وردت كلمة (دُولة) بضم الدال في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى من سورة الحشر: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٧].

ومعنى الآية الكريمة ، حتى لا يقع مال الفئ في أيدي الأغنياء ويكون ملكا متداولا بينهم خاصة ، دون الفقراء[٨] .

أما كلمة (دَولة) بفتح الدال فلم يرد ذكرها في القرآن الكريم . وآية ذلك إن الدول في الماضي كانت في غالبيتها صغيرة محدودة في مساحتها وسكانها . لذلك
عبر عنها القرآن الكريم في مواضع كثيرة بلفظ : " القرية " أو " المدينة " أو " البلد " أو البلدة " [٩] .

الدولة في الاصطلاح: هي الهيئة المكونة من عناصر ثلاثة مجتمعة:

١ – مكان من الأرض يطلَق عليه إقليم.

٢ – طائفة من الناس تسكن الإقليم يطلق عليهم شعب.

٣ – سلطة يخضع لها الشعب في الإقليم يطلق عليها الحكومة؛ تدبر علاقات الشعب الداخلية في ما بينهم، وتدبر علاقاتهم الخارجية مع الأقاليم الأخرى، وتحمي حدوده ضد الأعداء المحتمَلين.

ويتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي في العنصر الثالث عنصر السلطة؛ إذ من المعنى اللغوي للدولة – كما تقدم – الغلبة، والغلبة (القهر والإكراه واحتكار القوة) هي العنصر الفعال في السلطة.

إن تعبير الدولة الدينية والدولة المدنية ليس من مفردات السياسة الشرعية رغم أن الألفاظ المفردة المكوِّنة للتعبير هي ألفاظ عربية؛ يدل على ذلك أنك لو فتشت في ما كتبه العلماء المسلمون في ما مضى لم تجد لهذه التعبيرات أثراً، وهو مما يدل على أن هذه التعبيرات إنما وفدت من خارج البيئة الإسلامية[١٠].

المطلب الثاني : التعريف بحياة المؤلف .

اولا: التعريف بحياة المؤلف.

مفكر ومؤرخ وروائي مغربي ،يعتبر من المفكرين الذين اتخذوا التاريخانة الجديدة مذهبا وفلسفة ومنهجا للتحليل ،ولد عبدالله العروي في ٧ /تشرين الاول في مدينة أزمور ،سنة (١٩٣٣م) لعائلة ذات نفوذ كبير ،حيث توفيت والدته وهو في سن صغير ،تلقن تعليمه الابتدائي والاعدادي في أزمور ومراكش ثم أنتقل إلى فرنسا لدراسة العلوم السياسية فحصل على الاجازة البكالوريوس من معهد الدراسات السياسية بباريس سنة ١٩٥٦م، ثم أتم دراسته العليا فحصل على الدبلوم السلك الثالث بتاريخ ١٩٥٨م ،وحصل على شهادة الدكتوراه سنة (١٩٧٦م)عن أطروحة بعنوان (الاصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية: (١٨٣٠-١٩١٢)، أشتغل بعدها مدرسا في كلية العلوم الانسانية في جامعة محمد الخامس الى أن تقاعد[١١].

يعد عبدالله العروي من المؤمنين بالمنهج المعرفي (إيبستيمولوجي) كمنهج لمعالجة قضايا وإشكالات الفكر العربي (بحكم اهتمام المفكر كثيرا بالقضايا العربية خاصة الفكر العربي والتراث) هذا المنهج الذي أعتمد عليه عبدالله العروي يرتكز على جانبين : الجانب التاريخاني والجانب التأسيسي .

ثانيا: نظرته الفكرية .

أعتنق عبد الله العروي نظريا فكرة الحداثة، وهنا نتحدث عن الحداثة الغربية كما آمن بأفكار ماركس المتعلقة بالحداثة، وفي هذا الشأن يقول العروي في أحد تصريحاته " كان الكثيرون يستشهدون بماركس، ولكن لأهداف سياسية فقط، فقلت إن ماركس النافع هو ملخّص ومؤول ومنظِّر الفكر الأوروبي العامّ، الذي يمثّل الحداثة بكل مظاهرها. الأفضل لنا، نحن العرب، في وضعنا الثقافي الحالي، أن نأخذ من ماركس معلماً ومرشداً نحو العلم والثقافة من أن نأخذه كزعيم سياسي"[١٢].

ثالثا: مؤلفاته :

ألف المفكر عبدالله العروي العديد من المؤلفات منها :الغربة (رواية) والايديولوجية العربية المعاصرة (تعريب محمد عيتاني وتقديم مكسيم رودنسون)،والعرب والفكر التاريخي ،واليتيم (رواية)،ومفهوم الايديولوجيا ،ومفهوم الحرية ،ومفهوم الدولة ،وثقافتنا في منظور التاريخ ،ومجمل تاريخ المغرب ، والفريق (رواية)،وأوراق سيرة ذاتية ،ومفهوم التاريخ ،ومفهوم العقل ،وغيلة(رواية)،والسنة والاصلاح ،ومن ديوان السياسة ،وخواطر صباحية ،واستبانة ،وبين الفلسفة والتاريخ.

المؤلف يسلط الضوء على مفهوم الدولة على ثلاثة محاور: الهدف ، التطور ، الوظيفة ومتلازمتها: الدولة–الأخلاق، الدولة–الحرية، حيث تبقى الحرية خارج الدولة طوبى خادعة وأن الدولة بلا حرية ضعيفة متداعية... يأتي البحث متأن في هذه المتلازمات التي لا يمكن تحقيقها في آن ولكن هذا لا يعني أن هذا مستحيلاً....[١٣]

ويبين ان الدولة تُدرس حسب أربعة مناهج :القانون، الفلسفة ،التاريخ، الاجتماعيات[١٤].

صدر كتاب "مفهوم الدولة" للمفكّر المغربي عبد الله العروي، في طبعتهِ الأولى، سنة ١٩٨١م عن المركز الثّقافي العربي، ويضمُّ بين دفّتيه سبعة فصول. قام الأستاذ عبد الله العروي في هذا الكتاب بجهدٍ نظريّ يستحقُّ عليه لفتت إشادةٍ وتنويه، إذ أطلّ من خلاله على جواهر الفكر السياسي الأوروبي، واعتمد، في دراسته هذه، على أيقونات الفكر السياسيّ الحديث؛ لأن هؤلاء الأيقونات يعدُّون من أهم من نظّروا للدولة بإسهابٍ كبير قلّ نظيره، بدءاً بهيغل، مبيّناً أسباب اختياره له، ثم نقد ماركس وفيورباخ لنظرية هيغل في الدولة، ثم مع التيار الوضعاني ورائده الأبرز ماكس فيبر، قبل انتقاله لسرد أفكاره وتطلّعاته فيما يخص الدولة عند العرب، وذلك اللغط الّذي يتبعها. إنّ ما يميز الأستاذ عبد الله العروي هو جمعهُ بين تقنيتين: أوّلاً، تقنية التحليل الدقيق لمختلف الرؤى والأفكار، ثانياً تقنية النّقد برؤية فاحصة وموضوعية [١٥].

رابعا: التعريف بماهية الدولةعند العروي :

أكد العروي أن الماهية متعلقة بالهدف التي تدور حوله كما أنه يؤكد أن هناك كائن خارج عن الدولة وهو الذي يستعملها لتحقيق هدفه فهنا العروي يسعي للتحقق من ماهية هذا الكائن من خلال تعرضه لمقالتين حيث أن كلاهما لا يعرضوا أي استقلال كافي الذي منه

يهيأ تربة فكرية لنشأة نظرية الدولة، حيث تقوم المقالة الأولي تري أن الغاية المقدرة للبشر ليست من عالم المرئيات فالمخاطب هنا هو الوجدان الفردي والهدف هي السعادة الأبدية، فالمقالة تقوم علي أساس أن الدولة هي تنظيم اجتماعي فهي اصطناعية لا تتضمن قيمة أعلى من قيمة الحياة الدنيا فإذا كانت الدولة هدفها خدمة الفرد لكي يحقق هدفة في مقبولة وشرعية أما في حالة منعها لغاية الفرد في مرفوضة سيئة نابعة من الطبيعة الحيوانية للإنسان[١٦].

المبحث الثاني : نظرية الدولة الايجابية عند المفكر عبدالله العروي .

المطلب الاول :نظرية الدولة الايجابية .

مقاربة مفهوم الدولة في نظر العروي لا تستدعي في الغالب انحصار النظر في مرجعية واحدة موجهة بقدر ما تتداخل فيها الرؤى بصفة حتمية، لأن نقطة الانطلاق الفريدة تؤول الى نتائج تنفتح على آفاق أخرى و هذا لا يعني بأي حال من الأحوال تجاوز استقلال كل من المقاربات القانونية و الاجتماعية و التاريخية و الفلسفية بشروطها و ميكانيزمات اشتغالها المعرفية.

و يعتقد العروي ان البحث حول ماهية الدولة باعتبارها معطى في الواقع لا يمكن إلا أن يكون مقترنا بتحديد أهدافها، و يستحيل في نظره أن تكون هذه الأهداف خارج نطاق الدولة إذا تعلق الأمر بمحاولة التقعيد لنظرية مؤسسة للمفهوم، لأن البحث عن مثل هذه الأهداف يستوجب النظر الى الدولة باعتبارها وسيلة لخدمة ما سواها و الفردي ليحصر اهتمامه الاساسي بهدف أعلى غائي مفارق للملابسات الواقعية المباشرة، و يترتب عن ذلك أن الدولة حسب هذا الخطاب لا يمكن أن ينظر اليها إلا باعتبارها كيانا اصطناعيا مؤقتا ليس غاية في حد ذاته، و إنما غايته هي خدمة الفرد و تهيئته للوصول إلى الهدف المفارق، و هذا الكيان يستمد مشروعيته من قدرته بالتالي ينقلب مفهومها ثانويا و عرضيا غير ذي مكانة جوهرية، و هذا ما ينطبق بالفعل على كتابات و أعمال أغلب المفكرين الذين لم يحالفهم التوفيق في بناء نظريات للدولة من داخلها، و لهذا يحاول العروي لم شتات أطاريح جمهرة المفكرين الذين لم يتناولوا الدولة باعتبارها كيانا مستقلا و إجمالها في مقالتين جوهريتين[١٧].

تتعلق حسب العروي بمقاربة تنطلق من خطاب موجه بالأساس إلى المقالة الاولىالتي مفادها:(إن الغاية المقدرة للبشر ليست من عالم المرئيات ،وان الحياة الدنيا هي بمثابة تجربة يجتازها المرء ليعرف قيمته ومايستحق من جزاء في حياة أخرى محجوبة عنه الان وغير متناهية)[١٨] فالوجدان على الوفاء بهذه الوظيفة، يفقد هذه المشروعية إذا انحرف عنها و اتجه لتلبية شهوات دنيوية مما يجعلها وليدة الطبيعة الحيوانية للإنسان، و لهذا يرى العروي أن الدولة هنا ليست أكثر من كونها حاشية لنظرية الأخلاق لأنها مكرسة لتبليغ الشريعة و أنظمة القيم للفرد باعتباره المخاطب النهائي بها، و هذا الأخير يخضع لقانونين أحدهما جواني ينحصر في عمق الوجدان و الثاني براني تصدره الدولة ، و ليس بالضرورة أن يختلف القانونان من حيث الأهداف[١٩]. فيعلق العروي وينتقد المقالة الاولى بقوله :(من الواضح إن هذه المقالة لا تترك أي مجال معرفي تنشأ فيه نظرية خاصة بالدولة ...)[٢٠] .

أما المقالة الثانية : فملخص هذه المقالة :(إن غاية الانسان هي المعرفة والرفاهية والسعادة ،وإن الانسان وليد الطبيعة ،يصبو الى سد حاجاته البدنية والفكرية المتنامية باستمرار فيتجه الى الطبيعة التي تمده بالوسائل الضرورية ومن أهم تلك الوسائل التعاون ...) [٢١]، فتنطلق من كون الدولة ليست إلا ظاهرة طبيعية من ظواهر الاجتماع الانساني، الذي تتجه غاية الانسان فيه ليس إلى مطلب ماورائي مفارق، و إنما إلى تحقيق السعادة و الرفاهية و المعرفة و تلبية الحاجيات الدنيوية، و لما كانت قوة الأنسان في الأساس جماعية باعتبار أنه مدني بطبعه، فإن العقل يستسيغ النظر الى الدولة باعتبارها كيانا يخدم المجتمع، مثلما يخدم هذا الأخير الفرد العاقل، و بالتالي يفترض أن لا يكون ثمة تناقض بين الدولة و بين الفرد و المجتمع، و إذا وقع مثل هذا التناقض فمرجعه سبب غير طبيعي غالبا ما يكون هو الاستبداد، الذي يجعل الدولة فاسدة تخرج عن ماهيتها الطبيعية و تشكل مؤامرة ضد الانسانية، و لا تستحق أن تكون موضوع بحث فلسفي. ثم بين بتعارض المقالتين فقال :(هاتان مقالتان متعارضتان تعارضا تاما ،في الظاهر، نراهما تتصارعان في الفلسفة الغربية الحديثة ،يصل تعارضهما إلى حد أن الكلمة الواحدة (عقل ، طبيعة ،أخلاق) تؤدي في كل واحدة منهما معنى معاكسا لما تعنيه في الاخرى، رغم كل هذا ، يتحقق لدينا بعد النظر

اتفاقهما في الاشكالية ...إن الدولة لا تعكس في أية واحدة من هاتين المقالتين تعارض الشر والفضيلة في النفس أو تناقضاً بين الفئات الاجتماعية)[٢٢] .

ثم يبين العروي مفهوم الدولة الفاسدة بقوله:(أما الدولة الفاسدة ،المناقضة للمجتمع ،المبنية على العنف واستبعاد الناس ،فليست سوى مؤامرة ضد الانسانية ،لقد أنتجتها تاريخيا عملية سطو قام بها النبلاء (وليسوا في الاصل سوى قطاع الطرق) والكُهان(وليسوا سوى مغترين مزورين)اختلقوا خرافة الانسان الشرير ،واسطورة الفرد اللاإجتماعي الذي يفضل الجهل على العلم ويسعد عندما يُلحق الضرر بأخيه الانسان ،هذه خرافة اختلقتها أقلية شريرة لتثبيت حكمها والدفاع عن امتيازاتها) [٢٣]،ان دولة السطو هذه ، التي لا تخدم المجتمع ،غير طبيعية ولا تستحق أن تكون موضوع بحث فلسفي ،لان الفلسفة العقلانية تهتم فقط بقضايا الدولة الخاضعة لقوانين الطبيعة ،التي هي قوانين العقل[٢٤].

لخص العروي مجمل قوله في الفصل الأول، ببيان ثلاثة اتجاهات رئيسيّة في نظريّة الدولة:

١- الاتجاه الديني الميتافيزيقي: أوغسطين

٢- الاتجاه اللّيبرالي: الأخلاقي مع كانط

٣- الاتجاه اللاديني :اللأخلاقي مع هيغل

فهيغل عمل على نقد اليوتوبيا، أي نقد الآيديولوجيا السّابقة، ولذلك يمثل في نظر العروي، نقطة الالتقاء والتحول بين القديم والحديث. وهنا أهميته. فنكران هذا الموقف لن يكون إلا عودة إلى الطوبى حيث يقول: (إذا قررنا أن نظريّة هيغل مبنيّة على التمثل بالواقع، مهما كان حكمنا على نتائجه، وجب القول: إن رفضها يعني بالضرورة عودة إلى الطوبى)[٢٥]

تأخذ نظرية الدولة عند هيغل طابعًا تعميميًا، وكأننا نسعى فقط إلى تبرير، لماذا ينبغي الحديث عن الدولة بوصفها واقعا إنسانيا، أو ظاهرة سياسيّة لا يصح مناقشتها من الخارج؟ لأنه لا يمكن تجاوزها. بل هي نابعة من ضرورة كونها متطلبة تاريخيًا، وتجاوزها لا يستقيم وغايتَها في ذاتها، مع عدم إغفال أن الدولة – حسب هيغل – ليست – فقط – فكرة عقليّة أخلاقيّة خارجيّة، بل تتطور من خلال تجارب الإنسانيّة. وما تتبُع هيغل للقانون ولفلسفة

القانون في التشريعات الأوروبيّة وخاصة تشريعات الرومان، منذ البندكت – المدونة، مرورًا بروح القوانين لمونتسكيو، إلا تبريرا لعقلانيّة وإطلاقيّة وتعالي فكرة الدولة [٢٦] .

المطلب الثاني :الدولة السياسية والدولة الجوهرية.

وهنا يعمل العروي على نفي الدولة السياسية وإستبدالها بالدولة الجوهرية حيث ينتقد هيجل لأنه ينفي نظرية الدولة السياسية ويضع محلها الدولة الجوهرية المنطقية المطلقة فهو يتحايل ويتعامى عن المجال السياسي كمجال مستقل فهو يجعل من تعارض الفرد المنتج والدولة رأياً فقط وينفي حقيقته، يطرح هيغل قضية حقيقية ولكنه من الناحية الواقعية ولكنها من الناحية الواقعية لم يهتدي، إلى حلها وهي أن المجتمع مفصول عن الدولة إلا أن الحل الممكن الوحيد مرهون بتغيير نظام الملكية، العروي يري بأن الدولة ليست سلطة مفروضة علي المجتمع من فوق وليست واقع الفكرة الأخلاقية أو مرآة وتجسيد العقل كما يراها هيجل وإنما هي ثمرة المجتمع ذاته في مرحلة معينة من تطوره حيث إن نشأتها دليل علي تناقضات داخلية مستعصية[٢٧].

المبحث الثالث :الدولة التقليدية عند المفكر عبدالله العروي.

المطلب الاول :الدولة التقليدية عند المفكرعبدالله العروي .

في الفصل الرابع من كتاب (مفهوم الدولة) يرى عبدالله العروي أنه من الواجب البحث عن الواقع التاريخي الذي أفضى إلى تشكل الدولة التقليدية في الوطن العربي، ففهم هذا الواقع هو ما سيسمح بفهم كيفية تشكلها، ومن ثمة فهم طبيعة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين.

صحيح أن هناك حكاما من عدة أجناس تعاقبوا على الحكم، إلا أنهم جميعا كانوا يدعون الشرعية الإسلامية، وهي الشرعية التي تظل حسب الباحث قابلة للشك؛ لأن الدولة كما نظر لها فقهاء السياسة الشرعية لم تتحقق، بل ظلت مجرد أفكار طوباوية؛ ذلك أن مؤلفات أولئك الفقهاء تحدثنا عن "الدولة كما يجب أن تكون، لا عن الدولة كما هي في الواقع"[٢٨]

ان العرب قد عرفوا نوعا من الدولة عُرفت بالدولة الدهرية، وهي الدولة التي كانت تركز على غايات دنيوية تتمثل في السلطة والتوسع وقهر الخصوم ومراكمة الثروات. لكن عندما نتحدث عن "الدولة العربية التقليدية المدعومة بالدين"، فنحن نتحدث عن المرحلة التي أعقبت الفتوحات الكبرى. هذه الدولة حسب العروي ليست نتاجا عربيا خالصا، بل خليطا هجينا من مجموعة من المكونات الفارسية والبيزنطية، ولعل ذلك ما يفسر أوجه التشابه على مستوى نظام الحكم، حيث إن الخليفة كان على رأس الجهاز الحاكم الذي يتمتع بسلطة مطلقة، تماما مثلما كان الحال مع كسرى واردشير .

لقد كانت "الدولة الإسلامية" حسب العروي دولة هجينة تتداخل فيها مكونات عربية تعود للعصر الجاهلي، خاصة وأن العرب عرفوا الملكية حتى قبل ظهور الديانة الإسلامية، فإذا كان الإسلام نفسه لم يقطع مع كثير من العادات الجاهلية، فإن الدولة "الإسلامية" نفسها بقيت تحتفظ ببعض خصائص الإرث الجاهلي. ليس هذا فحسب، بل إن هناك حضورا للتقاليد الفارسية كما يلاحظ الباحث؛ وذلك ما يتضح بجلاء على مستوى التراتبية السياسية والهرمية التي كان يعرفها نظام السلطة، حيث نجد في أعلى الهرم السلطان الذي يعتبر الآمر والناهي، تليه طبقة الموظفين السامين ثم القضاة وجامعي الضرائب في الوقت الذي تقبع فيه الرعية في أسفل الهرم. الدولة "الإسلامية" تأثرت ببعض الأفكار التي حملها الإسلام على الأقل ظاهريا؛ ذلك أننا لو تأملنا هذه الدولة بعيدا عن أية نزعة إيديولوجية– يعتبر الباحث– لوجدنا بأنها كانت تدعي المرجعية الدينية فحسب، فقد كانت لها في العمق أهداف دنيوية (التوسع، السلطة، مراكمة الثروة..) في الوقت الذي كان تقدم نفسها للرعية بأن لها غايات أخلاقية–دينية.

يعطي العروي أهمية بالغة في تقسيم ابن خلدون ،المفكر العربي الذي قدم لنا نظرية تاريخية واجتماعية عن الحياة السياسية ،الانسانية بعامة والعربية والاسلامية بخاصة ،وتأتي أهمية ابن خلدون ،في ملتقى الاتجاهات الفقهية والفلسفية والتاريخية وحتى الصوفية ،لقد فكر حسن هذه الاتجاهات كلها فوفر لنا في آخر تحليل الارضية المشتركة بينهما[٢٩]،يقرر ابن خلدون:(إن الملك غاية طبيعية ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه)

ولا بد لذلك الملك، وهو طبيعي ،من" قوانين لكبح الحاكم" ثم يميز بين الانظمة التالية :-
الملك الطبيعي وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة .
-الملك السياسي وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع الضار .
-الخلافة وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ إحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به "[٣٠]

وفي فصل آخر يقسم ان خلدون السياسة العقلية الى نوعين :(نوع يهدف إلى مراعاة المصالح على العموم ،ونوع ثانٍ يهدف الى مصلحة السلطان فقط ،ويعني بالسياسة العقلية المعتمدة على العقل البشري وحده دون استلهام أيّ دعوة دينية ربّانية)[٣١].

ثم يرتب ابن خلدون انواع الانظمة السياسية الموجودة ،حسب قيمة كل نظام من الوجهة الاخلاقية ، من الادنى الى الاعلى ،فالنظام الادنى هو الملك الطبيعي الذي يناسب العمران البدوي ،ثم يتبعه الملك السياسي الذي يتوخى مصلحة الحاكم الفرد وهو نظام لا يخلو من العدل ،ثم في المرتبة الثالثة الملك السياسي الذي يتوخى مصلحة العموم ومثله حكم اليونان كما تصوره الفلاسفة وهو النوع الاقرب الى الكمال ،لولا انه ينقصه نور الهداية الربانية ،والمرتبة الرابعة نظام الخلافة لأنه يضمن السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة ،والمرتبة الخامسة يكون أكمل لولا أنه بعيد التحقيق وهو المدينة الفاضلة التي تخيلها الفلاسفة الاغريق وتلاميذهم المسلمون ، حيث يكون الفرد كامل الاخلاق فيستغني عن الحكم والدولة رأسا[٣٢].

المطلب الثاني :الخلافة عند عبدالله العروي.

يعتقد عبد الله العروي أن "الخلافة" لم تستمر لزمن طويل، لذلك يستند على ابن خلدون لتبيان أن الحكم الذي ساد في تاريخ المسلمين هو نظام الحكم الطبيعي المبني على القهر والسلطة، وبما أن "نظام الخلافة" لم يصمد طويلا خاصة بعد أن ظهرت الحاجة لبعض العناصر العقلية، والمصالح المتعارضة، فإن محاولة استعادة هذا النمط من الحكم ليست سوى تعلق بأحلام طوباوية .

إن العرب حسب تصنيف ابن خلدون – كما يورده العروي– لم يعرفوا سوى الملك الطبيعي، غير أن العروي لا يتوقف عند هذا الحد، فمادام الواقع متغير فإن نظام الخلافة لم يعد له من مبرر، وهذا ما يدفعه إلى الاستشهاد بالإمام الغزالي الذي أكد على ضرورة أن تتكيف السياسة مع وقرارات السلطان مع متغيرات الواقع. ليس هذا فحسب، بل إن دولة الخلافة تتعارض أشد التعارض مع الطبيعة البشرية، وربما هذا ما يفسر انهيارها السريع إن التمسك بالخلافة هو تمسك بطوبى ما عاد بالإمكان أن تتحقق إلا بوجود معجزة أو حدث خارق بعد أن انحلت أسباب قيامها، بل إن قيامها أصبح شبه مستحيل بالنظر إلى الواقع المتغير. لذلك يفسر العروي محاولة الفقهاء للدفاع عن حكم الخلافة بأنه ليس سوى محاولة لمواجهة اليأس الناتج عن عدم توافق مبادئ الشريعة مع متطلبات الواقع المتغيرة

وعليه، إذا انطلقنا من هذه المقاربة التي يعقدها العروي، فإن العرب عرفوا دولة سلطانية ذات غايات دنيوية اعتمدت على القهر والعنف في كثير من الأحيان للمحافظة على السلطة، فقد كان من الطبيعي، إذن أن يفضي هذا النظام السلطاني إلى سلب حرية الأفراد، حيث أصبحت الحرية امتيازا للطبقة الحاكمة وتلك المقربة من مركز القرار، أما باقي الأفراد، فلم يكونوا أحرارا يقول العروي في هذا الصدد: "إن ما ينقص السلطنة هو الحرية كهدف لكل فرد، لذلك قيل: لا حرية في نظام السلطنة، رغم وجود حريات خصوصية لأفراد وجماعات معينة. إن مفهوم الحرية الأصلية منعدم في السلطنة؛ لأن الدولة ملك للعصبة الحاكمة متمثلة في شخص السلطان، فالخزينة والبيروقراطية والجيش كل ذلك ملك له يتصرف فيها كما يشاء وبالطبع قد يشاء العدل فيتصرف حسب منطق العقل، كما قد يشاء العكس وهو الغالب[٣٣].

الخاتمة :

١- ناقش المؤلف الدراسات والنظريات والمذاهب الغربية التي تناولت مفهوم الدولة إذ تركز اهتمامه على النظرية الليبرالية، والنظرية الهيغلية المثالية، فالماركسية وصولا إلى الوجودية.

٢- أن المؤلف لم يتعامل مع هذه النظريات والمذاهب الغربية بالوصف والتشخيص وحسب، وإنما حاول مناقشتها على مستوى التصور وعلى مستوى الواقع، ومن ثمة، نقدها ومحاولة الخروج باستنتاجات واضحة بينة، ومحاولة تبين نظرة كلّ مذهب للدولة.

٣-إن الكتاب تضمن مجموعة القضايا والإشكالات التي يطرحها مفهوم الدولة، على المستوى الفلسفي، والواقع الاجتماعي والسياسي، والثقافي والديني.

٤-ناقش المؤلف مفهوم الدولة في العالم العربي الإسلامي، منطلقا في ذلك من آراء ابن خلدون في هذا الصدد، لاعتبارات عديدة، من بينها: أن ابن خلدون يعد رائد علم العمران البشري، البدوي والحضري، كما أنه قد نظر في مفهوم الحكم وأشكاله؛ إذ قسّم الحكم إلى حكم طبيعي، وحكم سياسي شرعي، وحكم سياسي عقلي.

٥- يعتبر العروي من انصار لافكار ولأطروحة هيغل رافضا نعتها بالمذهب الاسطوري، معتبرا أن كل اعتراض على هذه النظرية من شأنه تصنيف المعترضين في عالم الطوبى المحبب إلى النفس و البعيد عن الواقع السياسي الملموس، لاسيما أن نظرية هيغل هي نقطة الالتقاء و التحول بين القديم و الحديث، أي بين التيار الميتافيزيقي الديني الذي يمثله أوغسطين و بين الموقف الليبرالي الاخلاقي عند كانط، و كلاهما يمثلان أدلوجة الوجدان التي تشكل أطروحة هيغل نظرية نقدية لها.

و إذا كانت نظرية هيغل نقدا لأدلوجة الوجدان، فإنها بدورها كانت محلا للنقد الماركسي، مما يجعل العروي يفرد فصلا خاصا للنظرية النقدية للدولة في صيغتها الماركسية في مؤلفه مفهوم الدولة .

٦- يستشهد العروي بتقسيمات الانظمة عند ابن خلدون ،الا إنه يقول نظام الخلافة لم يعد له من مبرر، ، وهذا ما يدفعه إلى الاستشهاد بالإمام الغزالي الذي أكد على ضرورة أن تتكيف السياسة مع وقرارات السلطان مع متغيرات الواقع ، بل إن دولة الخلافة تتعارض أشد التعارض مع الطبيعة البشرية.

الهوامش:

[١] عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة(٣٩٢هـ)، عن نحو ٦٥ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي ، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) : دار العلم للملايين ،الطبعة الخامسة عشر(٢٠٠٢ م)،٢٠٤/٤.

[٢] لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ،الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ)،٢٥٢/١١.

[٣] سورة الحشر : من الآية (٧).

[٤] سورة آل عمران : من الآية ١٤٠.

[٥] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م)،١٧٠٠/٤. ينظر: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)،ص ١٠٩.

[٦] ينظر: المبادئ العامة للقانون الدستوري: د.إبراهيم عبد العزيز شيحا ، القاهرة ،(١٩٨٣م) ، ص٢٤ .

[٧] سورة الحشر :من الآية (٧).

[٨] ينظر: تفسير الجلالين ، العلامة محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٤م)، ص ٧٣١ . ينظر: تفسير ابن كثير : للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المفيد ، بيروت ، لبنان (١٩٨٧م)، ٢٣٤/٥ .

[٩] وقد تكرر استخدام كلمة " قرية " في القرآن الكريم ستاً وخمسين مرة . أما كلمة " مدينة " فقد وردت في الكتاب المجيد أربع عشر مرة فقط ، منها أربع مرات بمعنى مدينة الرسول (ص) وهي المدينة المنورة التي هاجر إليها . وأما كلمة " بلد " أو " بلدة " فقد جاءت بنفس عدد كلمة " مدينة " أي أربع عشرة مرة . وردت بالجمع أي " بلاد " خمس مرات .

-ولمزيد من التفصيل ، بنظر : الدولة في ميزان الشريعة – النظم السياسية: د. ماجد راغب الحلو ، ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ،(١٩٦٦م) ، ص٣٠-٣٤ . ينظر: النظم السياسية والقانون الدستوري د. ماجد راغب الحلو ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،(٢٠٠٥ م)، ص٢٩-٣٤ .

[١٠] الدولة الإسلامية...بين الدينية والمدنية، مقال الدراسات في الدعوة ،الانترنت .

[١١] الموقع الالكتروني ،https:llar.wikipedia.org

[١٢] الموقع الالكتروني ،https:llar.wikipedia.org

[١٣] ينظر: مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء–المغرب ،الطبعة التاسعة (٢٠١١م) ،ص٨.

[١٤] مفهوم الدولة : عبدالله العروي: ص ٩ .

[١٥] مقال بقلم سفيان البراق قسم الفلسفة والعلوم الانسانية (١٣ ابريل ٢٠٢٢م) من شبكة اللانترنت

[١٦] عرض نقدي لكتاب مفهوم الدولة :مقال بقلم مريم عبد السلام(شبكة الانترنت).

[١٧] ينظر : مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،ص ١٤.

[١٨] مفهوم الدولة : عبدالله العروي: ص ١٤.

[١٩] مقاربات حول نظرية الدولة الايجابية عند عبدالله العروي: د. سعيد أرجدان ، باحث جامعي في فلسفة القانون ، الموقع الالكتروني https:www.danapress.ma

[٢٠] مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،ص ١٥.

[٢١] المصدر نفسه : ص ١٦.

[٢٢] مفهوم الدولة : عبدالله العروي، ص ١٩.

[٢٣] المصدر نفسه ،ص١٨.

[٢٤] مفهوم الدولة : عبدالله العروي، ص ١٨.

[٢٥] مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،ص ٣٢.

[٢٦] الأساس الفلسفي للدولة عند عبد الله العروي تطور النظام الرأسمالي العالمي أفضى إلى أداة تحكم عالمية، رشيد العلوي /الدار البيضاء مقال في شبكة الانترنت .

[٢٧] عرض نقدي لكتاب مفهوم الدولة :مقال بقلم مريم عبد السلام ، شبكة الانترنت .

[٢٨] مفهوم الدولة : عبدالله العروي ، ص ١٢٠.

[٢٩] مفهوم الدولة : عبدالله العروي ، ص ١٢٥.

[٣٠] المصدر نفسه : ص ١٢٥.

[٣١] مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،ص ١٢٦.

[٣٢] المصدر نفسه : ص ١٢٦.

[٣٣] عز الدين العلام: الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، المطابع الدولية الكويت، (٢٠٠٦ م)، ص ١٣٧.

المصادر والمراجع:

١- الأساس الفلسفي للدولة عند عبد الله العروي تطور النظام الرأسمالي العالمي أفضى إلى أداة تحكم عالمية، رشيد العلوي /الدار البيضاء .

٢- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) : دار العلم للملايين ،الطبعة الخامسة عشر(٢٠٠٢ م)

٣- تفسير ابن كثير : للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المفيد ، بيروت ، لبنان (١٩٨٧م)

٤- تفسير الجلالين ، العلامة محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ، بغداد ، (١٩٨٤م)

٥- الدولة الإسلامية...بين الدينية والمدنية، مقال الدراسات في الدعوة

٦- الدولة في ميزان الشريعة – النظم السياسية: د. ماجد راغب الحلو ، ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية ،(١٩٦٦م)

٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة: الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م)

٨- عرض نقدي لكتاب مفهوم الدولة : مقال بقلم مريم عبد السلام (شبكة الانترنت)

٩- عز الدين العلام: الآداب السلطانية، دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، المطابع الدولية الكويت، (٢٠٠٦ م)

١٠- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ،الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ)

١١- المبادئ العامة للقانون الدستوري: د. إبراهيم عبد العزيز شيحا ، القاهرة ،(١٩٨٣م)

١٢- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)

١٣- مفهوم الدولة : عبدالله العروي ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء–المغرب ،الطبعة التاسعة (٢٠١١م)

١٤- مقاربات حول نظرية الدولة الايجابية عند عبدالله العروي: د. سعيد أرجدان ، باحث جامعي في فلسفة القانون ، الموقع الالكتروني https:www.danapress.ma

١٥- النظم السياسية والقانون الدستوري د. ماجد راغب الحلو ، منشأة المعارف،الإسكندرية ،(٢٠٠٥م)

Sources and references:
1- The philosophical basis of the state according to Abdullah Al-Aroui: The development of the global capitalist system led to a global instrument of control, Rachid Al-Alawi / Casablanca.
2- Notable figures: Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, Al-Zirkli al-Dimashqi (d. 1396 AH): Dar al-Ilm Lil-Millain, fifteenth edition (2002 AD)
3- Tafsir Ibn Kathir: By Imam Abu Al-Fida Ismail bin Kathir Al-Qurashi Al-Dimashqi, Dar Al-Mufid, Beirut, Lebanon (1987 AD)
4- Tafsir Al-Jalalayn, by the scholar Muhammad Karim bin Saeed Rajeh, Al-Nahda Library, Baghdad, (1984 AD)
5- The Islamic State... between religious and civil, an article on studies in advocacy
6- The State in the Balance of Sharia - Political Systems: Dr. Maged Ragheb Al-Helu, University Press House, Alexandria, (1966 AD)
7- Al-Sihah, the Crown of Language and the Sahih of Arabic: Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi (d. 393 AH), edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar: Dar Al-Ilm Lil-Millain - Beirut, Edition: Fourth (1407 AH - 1987 AD)
8- A critical review of the book The Concept of the State: An article by Maryam Abdel Salam (Internet)
9- Izz al-Din al-Alam: Royal Etiquette, a study in the structure and constants of political discourse, International Press Kuwait, (2006 AD)
10- Lisan al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifa'i al-Ifriqi (d. 711 AH): Dar Sader - Beirut, third edition (1414 AH)
11- General principles of constitutional law: Dr. Ibrahim Abdel Aziz Shiha, Cairo, (1983 AD)
12- Mukhtar Al-Sahhah: Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir Al-Hanafi Al-Razi (d. 666 AH) Editor: Youssef Al-Sheikh Muhammad: Al-Maktabah Al-Asriya - Dar Al-Tawdhimiya, Beirut - Sidon, fifth edition, (1420 AH / 1999 AD)
13- The Concept of the State: Abdullah Al-Aroui, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, ninth edition (2011 AD)
14- Approaches to the theory of the positive state according to Abdullah Al-Arawi: Dr. Saeed Arjadan, university researcher in the philosophy of law, website: https:www.danapress.ma
15- Political systems and constitutional law Dr. Maged Ragheb Al-Helou, Al-Ma'arif facility, Alexandria, (2005 AD)